كتابات نقدية

هايل علي المذابي

الثيمات النفسية والفلسفية في ديوان أساور البنفسج

منشورة للنشر الإليكتروني

نوع العمل: كتابات نقدية

اسم العمل: قراءة فى ديوان أساور البنفسج

اسم المؤلف: على هايل المذابى

الناشر: حروف منثورة للنشر الإليكترونى

الطبعة: الأولى أكتوبر 2015

تدقيق لغوى: محمد عز الدين

تفضلوا بزيارة موقعنا حروف منثورة للنشر الإليكترونى من خلال الضغط على الرابط التالى:

http://herufmansoura2011.wix.com/ebook

كما يمكنكم متابعتنا من خلال صفحتنا الرسمية على الفيس بوك من خلال الضغط على الرابط التالى:

http://facebook.com/herufmansoura

كما يمكنكم مراسلاتنا بأعمالكم على الإيميل التالى:

Herufmansoura2011@gmail.com

obeikandl.com

دار حروف منثورة هي دار نشر إلكترونية لخدمات النشر الالكتروني ولا تتحمل أي مسئولية تجاه المحتوى الذي يتحمل مسئوليته الكاتب وحده فقط وله حق استغلاله كيفما يشاء

obeikandl.com

كتابات نقدية

دراسة نقدية : الثيمات النفسية والفلسفية في ديوان الشاعرة سميرة عبيد " أساور البنفسج "

بقلم / هايل المذابي

obeikandl.com

الفهرس:

1. مقدمة
2. ثيمة التعويض النفسي في أساور البنفسج
3. ثيمة الغربة في أساور البنفسج
4. ثيمة التطهر في أساور البنفسج
5. الأفكار الأخيرة

obeikandl.com

مقدمة

لعل مما يثير الإعجاب في ديوان " أساور البنفسج " لـــ سميرة عبيد هو قدرة الشاعرة على مخاطبة الطبيعة واستخدام "البنفسج " كمعادل موضوعي للإنسان وللحياة وللوطن وللحبيب وتكتشف ذلك من أول وهلة تسمع عن الديوان فالعنوان الذي هو أول عتبات الولوج إلى النص يخبرك بأن البنفسج ذلك الورد الجميل له أساور ثم ثيمة " التعويض " Compensation " كأول ثيمة في الديوان يمكن الحديث عنها.

رجوع للفهرس

obeikandl.com

ثيمة التعويض النفسي في أساور البنفسج

التعويض يلخص الحالة النفسية للشاعرة ويعني التعويض إحلال شيء من الطبيعة أو أحد ممالك الوجود الثلاث محل بني جنس الإنسان أو جزء منهم، ومخاطبة الطبيعة أو تذكير أحدها يندمج فيه ثلاثة مفاهيم ودلالات أولها استخدام هذا الموجود كمعادل موضوعي ثم التعويض به وأخيراً بعث الروح فيه وهو ما تميز به شعراء المهجر من الرومانتيكيين وسمي فيما بعد ب" الإحيائية " وعندما نتحدث عن أحد هذه الثلاث من المفاهيم في ديوان سميرة فنحن نتحدث بالضرورة وتتداعى لنا الثلاث مندمجة ومترابطة..

التعويض يلخص الحالة النفسية للشاعرة ويعني التعويض إحلال شيء من الطبيعة أو أحد ممالك الوجود الثلاث محل بني جنس الإنسان

obeikandl.com

يبدأ ذكر البنفسج في ديوان " أساور البنفسج " بالإهداء لوالد الشاعرة الذي لون أحلامها بالبنفسج، ثم نجده في قصيدة الشارقة زهرة الدنيا " :

" يا شارقة الحلم الغائم في قلوب ساكنيها / هاتي يديكِ واحتويني / فقد أصبحت في راحة يديكِ بنفسجة مسافرة " (ص21).

وأيضا في ذات القصيدة " يا شارقة الحلم البنفسجي / يامن ترجين في القلب مراكب الحب المسافرة / منذ خلق عطر بنفسجي بحي " ميسلون " (ص 24)

وفي قصيدة "نبوءة أندلسية (ص27) تذكر الشاعرة :

ياصغيرتي / سينمو جنين الدهشة في رحم الأمنيات / سيقتل شبق الظنون ويبدد عيون السراب / سيهديكِ الزمن زهر البنفسج ...(ص 29)."

ثم قصيدة سحر البنفسج ص 47)تخاطب الشاعرة البنفسجة وتناديها أن تأخذها إليها فتبعث فيها الروح وتخاطبها وتناجيها مناجاة الحيارى، ثم نجد قصيدة " لوعة البنفسج (ص 65) لكنها هنا تتماهى في زهرة

البنفسج وتصبح معادلة موضوعية للذات " الشاعر / البنفسجة "، كما نجد في قصيدة " سفن البنفسج " و" أساور البنفسج " معادلا موضوعيا للجمال المخيف...!!؟

من علماء الجمال عمانوئيل كانط صنف طبقات الجمال ومراحله جانحاً بالنفسي مجنح الرياضي " الحلو، الحسن، الجميل،

", كما نجد في قصيدة " سفن البنفسج " و" أساور البنفسج " معادلا موضوعيا للجمال المخيف...!!؟

الجليل " الأول يلذ والثاني يبهج والثالث يسر والأخير مخيف...

كيف يصبح الجميل مخيفاً ؟

يقول جوته : " ربما استطعنا أن نتحمل الجمال الذي يرعبنا بسموه وأبعاده.."

عندما نتأمل الجميل نفرح له ونتمنى امتلاكه لكنه عندما يكون كثيفا متعددا متنوعا فإنه يشعرنا بالفوات والعجز عن اللحاق به فنأسى لأن الزمن الذي هو عنوان الفناء سيمحو

obeikandl.com

الفرصة التي نعاود بها الجمال الجليل ونشعر أن بيننا وبينه هوّة الموت فنرتعد فرقاً...

التعويض تفرضه دائماً العادات والتقاليد والبيئة والثقافة والظروف المحيطة عموماً بلا استثناء، ولذلك فإن هذا الشذوذ هو بمعنى الاختلاف والخروج عن القاعدة المتمثلة في العشيرة أو القبيلة أو المجتمع وكذلك في الفكر والفن، ولكن ما حيلة الشاعرة والأديبة في المجتمعات الذكورية ؟؟!!

التعويض تفرضه دائماً العادات والتقاليد والبيئة والثقافة والظروف المحيطة عموماً بلا استثناء، ولذلك فإن هذا الشذوذ هو بمعنى الاختلاف والخروج عن القاعدة المتمثلة في العشيرة

إن التعويض هو تميز عن الآخرين والتعويض هنا قد يكون في سياق العلاقات الاجتماعية، مثال ذلك "الشنفرى" وهو الشاعر الصعلوك صاحب لامية العرب والذي استعاض بحياة البراري والصحراء والعيش مع الحيوانات التي وجد الأمن وأحس بالأُنس معها ففضلها على قومهِ وعشيرتهِ لقاء ظلمهم وساديتهم، وشأنه في ذلك شأن بقية الشعراء

obeikandl.com

الصعاليك الذين كان يتزعمهم عروة بن الورد، يقول الشنفرى :

" ولي دونكم أهلون سيدٌ عملّس / وأرقط زهلولٌ وعرفاء جيألُ

هم الأهل لا مستودع السر ذائعٌ لديهم / ولا الجاني بما جرّ يُخذلُ)

• وهاهو أيضاً يضرب لنا أروع وأنبل المشاعر الإنسانية وهو يوصي أم عامر أنثى الضبع حين قال :

" لا تقبروني إن قبري مُحرمٌ عليكم / ولكن أبشري أم عامرِ

إذا احتملوا رأسي وفي الرأس أكثري / وغودر عند الملتقى أم سائري "

ومن النماذج أيضاً "الأحمر السعدي" أو "الأحيمر السعدي" أحد قُطّاع الطُرق في العصر الأموي وكان لصاً فاتكاً، يقول :

" عوى الذئبُ فاستأنستُ بالذئبِ إذ عوى / وصوّت إنسانٌ فكدتُ أطيرُ"

- نجد أيضا وفي مواضع أخرى في ديوان " أساور البنفسج " بعث الروح في البنفسج وتذكيره وإحلاله محل الحبيب كبديل أيضا يفرضه الحصار في المجتمع الذكوري والمعنى يتضح من خلال السياق وأيضاً تبعاً لمقتضى الحال فها هو "المتنبي" يؤنث القوة ويعوض بها عن المرأة، ومثله "ابن الرومي" الذي يؤنث الطبيعة، و"النواسي" الذي يؤنث الخمرة، و"جبران خليل جبران" الذي

بعث الروح في البنفسج وتذكيره وإحلاله محل الحبيب كبديل أيضا يفرضه الحصار في المجتمع الذكوري والمعنى يتضح من خلال السياق وأيضاً تبعاً لمقتضى الحال

يستعيض بالعوالم الافتراضية والشخصيات الأنثوية مثل سلمى وغيرها، مما نجده في ثنايا مؤلفاته، كانت كلها تعويضية افتراضية لا وجود لها إلا في عالمه المثالي والافتراضي الذي صنعهُ بمخيلتهِ وثقافتهِ وإنسانيته الراقية، وتعبيراً عن حزنهِ وغربتهِ النفسية والمكانية أو"المكانفسية " التي كانت ترافقهُ أينما ذهب، كذلك قد يكون هذا التعويض تعبيراً عن أعمق مطلب وحاجة لدى الإنسان " إثبات الذات

obeikandl.com

وتحقيق الوجود " والتي تعتبر الشجرة التي تتفرع منها كل الأسباب الأخرى لكنها في الأخير تنتمي إليها.

- كذلك نجد في بنفسج "سميرة عبيد" هذا التعويض تجسيداً لبحث مفقود عن غايات سامية في عالمٍ أهم سماته " النقص " والإحيائيين في الرومانتيكية يعبرون بوضوح شديد عن هذا..

كذلك نجده في مواضع أخرى يشبه عقدة "بجماليون " وهو النحات الذي صنع تمثالاً ثم عشقهُ، فهي لاتستطيع التوبة عن البنفسج في سياقات حياتها العامة والخاصة والأدبية أيضا، ونجده أيضا هروباً من سادية الآخرين وظلمهم..

إننا نجد في ثنايا ديوان " أساور البنفسج " تعويضا راقيا صنعته سميرة بخيالها الطفل، وسمو طموحاتها ورقي مشاعرها ورهافة أحاسيسها وتعاظم هم الإنسان بداخلها، هذا جميعه بالإضافة إلى المكونات الثقافية والظروف المحيطة والتراكمات المعرفية التي ترسبت في وعيها، ذلك الماضي البعيد الممتد فيها وهذا الحاضر الذي تسرب إليها

obeikandl.com

وأيضاً المستقبل الذي يتراءى لها، كل ذلك يجعلها تتعارض بالطبيعة مع ضيق العالم السفلي، المادي، عالم الضلال، ما سوغ لها التعبير بكافة وسائل الإبداع والفن عن أشياء وتجارب يستحيل أن تكون عاشتها حقيقةً، شأنها شأن أهل الفن والإبداع الذين هم بدون هذه العوالم التعويضية الافتراضية والحقيقية لايساوون في ميزان الفن شيء له ذكر..

رجوع للفهرس

obeikandl.com

ثيمة الغربة في أساور البنفسج

وتأتي الثيمة الثانية في ديوان أساور البنفسج يمكن ملاحظتها وفي حالة ترابط مع الثيمة الأولى وبالحديث عنها يمكن ذكر قول الرئيس الأمريكي الأسبق "جون كنيدي" في كتابهِ أمة من المهاجرين عن الغربة وأسبابها أن للهجرة أنماط، فتكون لأسباب اقتصادية

وتأتي الثيمة الثانية في ديوان أساور البنفسج يمكن ملاحظتها وفي حالة ترابط مع الثيمة الأولى وبالحديث عنها

وتكون هروباً من اضطهاد ديني، وتكون لجوءًا من استبداد سياسي.

وفي كل تلك الأنماط تسمى الهجرة غربة، ولهذه الأخيرة سيكولوجيتها وطبيعتها الخاصة، فهناك الغربة المكانية وتعني الانتقال والعيش في وطن آخر، وأسبابها قد ذكرت في الأنماط التي عددها كنيدي في كتابهِ والمذكورة آنفاً.

في ديوان أساور البنفسج للشاعرة "سميرة عبيد" نجد أن هاجس الغربة يسكن الشاعرة ولكن أشكال الشوق والحنين

obeikandl.com

في القصائد تختلف من موضع إلى موضع فحيناً تعبر الشاعرة عن غربتها بالحنين والشوق إلى الأم، تقول في قصيدة " أماه " :

((أُمّاه..

يا نبعا تكومت عليه / كل الطيور، / يا رائحة ياسمينة / استحمت منها بناتك الحيارى، / نثرت بين الروح والجسد / ترنيمة عشق صابرة / ما زالت تؤرخني كل يوم / على خارطة الغربة، / وطن منفي أنا / أعانق ذل الفراق / كي أصبح بوهج لقياك)) أساور البنفسج / ص 11

ونلاحظ أن الغربة المكانية والنفسية تسيطر على روح الشاعرة وتتحكم في سياق المقاطع السابقة.. ونلاحظ أن الأم ليست تلك العلاقة المادية التي تربط بين الشاعرة وبين والدتها ولكنه رمز يتسع ليصبح دلالة الشوق إلى أمها الكبرى " الأرض ".. ويعبر الفيلسوف اليوناني "جالينوس" عن ذلك بقوله : "يتروح العليل بنسيم وطنهِ، كما تتروح الأرض الجدبة بعليل المطر"، وهاهو "برومثيوس" يضرب أروع الأمثلة عن ذلك حين كان يتلقى

الضربات في سماء الأولمب فيهبط إلى أرض وطنه يتزود منها نسيماً وماءً وشعاعاً، ثم يعود ليتغلب على خصومهِ الآلهة المناوئين.. ويذهب "الجاحظ" إلى أبعد من هذا حول فكرة النسيمية الوطنية فيقول : " كان النفر في زمن البرامكة إذا سافر أحدهم احتفن معه حفنةً من تراب وطنهِ يضعها في جرابٍ لهُ ليتداوى بها..!!"

رغم ذلك فالغربة المكانية هي غربة اختيارية، في الأغلب، إلا إن تجاوزت حدود الضغوط الاقتصادية من أنماط الهجرة

رغم ذلك فالغربة المكانية هي غربة اختيارية، في الأغلب، إلا إن تجاوزت حدود الضغوط الاقتصادية من أنماط الهجرة.. وقد عبرت الشاعرة عن ذلك بقولها في القصيدة السابقة : " وطن منفي أنا / أعانق ذل الفراق ".

في موضع آخر من الديوان تفرد الشاعرة قصيدة تعبر فيها عن وحشة الغربة وماتخلفه في الذات عنونتها بـ " أنفاس الغربة "، تقول :

obeikandl.com

((يرقص قلبي على ألحانه / يتمدد كسحابة بيضاء في كون الاشتياق / يتبرعم كزهرة تتفتح فتنشر رحيقها هوى / أترنح كأرجوحة / ما بين فكي الطفولة والغربة

هنا مطر يروي أنفاس الغربة / وهناك كف ظامئ لمواعيد الصحو المؤجلة / هنا سماء تتنفس بأشرعة مثقوبة / وهناك من يعزف على الكمان بأعجوبة / من أجل ذاك الشوق / ذاك اللحن / ذاك الشجن / ذاك الوطن / سأبقى، ،،،،،،)) أساور البنفسج 126- 127.

ثمة نمط آخر من الغربة يسمى الغربة النفسية، وهي غربة صعبة إذ يشعر صاحبها وهو بين قومهِ وأهلهِ بغربتهِ عنهم، فتبدو عليه أعراض الاكتئاب، ويدخل في سياق هذه الغربة ما يسمى في النفسانيات بالتعويض compensation أي مثلما نقول بالبدائل تستمر الحياة، ومن الأمثلة على ذلك الشاعر "الشنفرى" قديماً والذي يقول معبراً عن هذا :

"ولي دونكم أهلون سيدٌ عملسٌ / وأرقط زهلولٌ وعرفاء جيألُ "

فاستعاض بالحيوانات عن قومهِ وأهلهِ الذين شعر بغربتهِ النفسية بينهم، ومثله "الأحمر السعدي"، أحد قطاع الطرق في العصر الأموي وكان لصاً فاتكاً، يقول معبراً عن غربتهِ تلك :

" عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى / وصوّت إنسانٌ فكدتُ أطيرُ " والنماذج في التاريخ على هذه الغربة كثيرة خصوصاً من شريحة الأدباء والشعراء والفنانين

هذه الغربة ليست اختيارية ولكنها جبرية، تفرضها وتجبر عليها ضغوط كثيرة كعادات وتقاليد وتباينات ثقافية وشعورية لا يدركها كثير من الناس..

ولكن لا يتسع المقام لذكرها، لكن هذه الغربة ليست اختيارية ولكنها جبرية، تفرضها وتجبر عليها ضغوط كثيرة كعادات وتقاليد وتباينات ثقافية وشعورية لا يدركها كثير من الناس..

ونجد هذا التعويض ذاته في التفاصيل التي تقولها الشاعرة في قصيدة أنفاس الغربة ولكن بما يناسب ثقافتها وبما يناسب الأشكال الثقافية التي تحيط بها وتفقهها فتقول : "

obeikandl.com

وهناك من يعزف على الكمان بأعجوبة / من أجل ذاك الشوق / ذاك اللحن / ذاك الشجن / ذاك الوطن / سأبقى "

أما وعن النمط الثالث من أنماط الغربة وأكثرها مدعاةً للأسى فهي الغربة التي تتكون من النمطين السابقين النفسية والمكانية " المكانفسية "، وهي ما بين الجبرية من الناحية النفسية والاختيارية من الناحية المكانية، ومن أمثلتها ومن شعراء المهجر نذكر "جبران خليل جبران"، الذي اضطرته هجرته وغربته المكانفسية إلى صنع عوالم خيالية ليس لها وجود إلا في ذهنهِ والتي نسج عنها أجمل الكلام والقصص والحكايا التي صارت إرثاً فكرياً حضارياً تتناقله الأجيال..

تقول سميرة عبيد في قصيدتها "أنفاس الغربة" :

" يرقص قلبي على ألحانه / يتمدد كسحابة بيضاء في كون الاشتياق / يتبرعم كزهرة تتفتح فتنشر رحيقها هوى / أترنح كأرجوحة / ما بين فكي الطفولة والغربة"

هنا نجد الوهم الذي يختاره الشاعر ويعايشه ويستعيض به ليأتنس ويكافح وحشة الغربة، وما تلك الألحان التي يرقص على أنغامها قلب الشاعرة إلا كما " سلمى " في أدبيات جبران خليل جبران التي ليس لها حقيقة إلا في أحلامه ومؤلفاته..

يقول "بوذا": " نحن مانفكر فيه، وكل مافينا ينبع من أفكارنا، وبأفكارنا نصنع عالمنا "، ويقول أيضاً: " إن الإنسان لايصل إلى الحقيقة الخالصة إلا عندما يدرك أن كل ما في الحياة هو مجرد وهم.."

هنا نجد الوهم الذي يختاره الشاعر ويعايشه ويستعيض به ليأتنس ويكافح وحشة الغربة، وما تلك الألحان التي يرقص على أنغامها قلب الشاعرة إلا كما " سلمى " في أدبيات جبران خليل جبران

والشاعرة تعرف ذلك بوعي أو بدون وعي لافرق فهذا الوهم ذاته هو مايجعلها تستعيض بالموسيقى والشخصيات الافتراضية لتكافح وتجاهد غربتها حيناً وتستحثها على الكتابة والتعبير شعراً ونثراً حيناً آخر.

كل تلك أنماط الغربة تأتي في سياق موضوعي، بيد أن هناك علاقة سيكولوجية بين الموضوعية والذاتية تبعاً لما تحتمه

obeikandl.com

الظروف الثقافية والحضارية والإنسانية، لكن يبقى سؤال هام عالق ترتسم حوله هالة استفهامات كثيرة وهو سؤال الهوية والذي له علاقة وطيدة بالغربة، وهو سؤال من أكثر ما يدور على الألسن ومتداول، فهل حقاً للغربة دور في محو الهوية واستئصالها من أعماق الفرد، أم أن الغربة تعيد صياغة عوالم المرء النفسية لتصنع منه إنساناً جديداً له علاقة بالعالم الذي يعيش فيه، لكنه لا يقبل التنازل عن هويته الأصلية والتي بدونها – على الأقل في نظرهِ وهو الأهم لا يساوي شيئاً، والشاعرة سميرة عبيد في أساور البنفسج تخالف تلك الأنماط التي مسخت هويتها الغربة بما احتواه الديوان من تفاصيل الأشواق وحكاية الحنين في ذات الشاعرة الذي ليس له قرار..

رجوع للفهرس

obeikandi.com

ثيمة التطهر في أساور البنفسج

وبالانتقال إلى الثيمة الثالثة في ديوان أساور البنفسج نجد أن اتفاقنا على أن الحياة المادية والتكنولوجيا الحديثة قد طمست على معالم الجمال في النفس البشرية ودأبت على تشويه القيم الجميلة في قلوب الناس وحثتهم على ترك الانتباه إلى ماخلق الله من جمال في هذه الدنيا وسلبت المرء دهشته بعوالم الطبيعة وسحرها، فإن المادية والتكنولوجيا هي مرض العصر بامتياز، ولاسبيل إلى التطهر من كل ذلك القبح والتشوه إلا بتذكر كل إنسان لميلاد مرضه المادي الأول عن طريق جولة سريعة بين الورود ومفاتن الطبيعة وهذا مايبدو جلياً لنا من أول وهلة تقع أعيننا فيها على ديوان " أساور البنفسج " للشاعرة سميرة عبيد وتشعر بذلك بمجرد أن تفتح المجموعة التي سطرت بالإهداء الذي يقول :

وحثتهم على ترك الانتباه إلى ماخلق الله من جمال في هذه الدنيا وسلبت المرء دهشته بعوالم الطبيعة وسحرها، فإن المادية والتكنولوجيا هي مرض العصر بامتياز

obeikandi.com

((إهداء..

لوجه أبي الذي لون أحلامي بالبنفسج...

ذان... لعطر وضوئه ساعة

لميسلون التي شربت ضحكته...

لخبز أمي الذي لايشبه أحد...

لرائحة الياسمين في حدائقها))

- **التطهرCatharsis:**

يرى "أفلاطون" كونه أول من استخدم هذا المصطلح أن المأساة تطهر المتفرجين من عواطفهم وانفعالاتهم المكبوتة عن طريق استثارتها في نفوسهم. وحين تناوله "أرسطو" قال: إن المأساة تطهر المتفرجين من "الانفعالات والعواطف المتطرفة".

وفي القرن الماضي دخل مصطلح "التطهر" أو "التطهير" في علم النفس التحليلي من مجالين المجال الثاني وهو ما يعنينا، في العلاج النفسي عند المدرسة التحليلية منذ ابتكر عالم النفس "جوزيف برويير" أسلوباً للعلاج أطلق عليه

obeikandl.com

اسم "الأسلوب التطهيري" حيث يطلب من المريض النفسي أن يحاول أن يتذكر أول مرة لاحظ فيها أعراض المرض فإذا تذكرها شفي المريض كما زعم "برويـر" وفي قصيدة (يوم ميلادي ص 124) تتعافى الشاعرة ويتعافي اللاوعي الجمعي بقولها :

أيها النور لا تنطفئ فخلفك سيول من الآوجاع تحتضر

في العلاج النفسي عند المدرسة التحليلية منذ ابتكر عالم النفس "جوزيف برويـر" أسلوباً للعلاج أطلق عليه اسم "الأسلوب التطهيري"

وشجرة أمي المزروعة بالياسمين صدق أبي حين قال

إنها لا تنكسر..... لا تنقصر.... لا تندثر

لو مر عليها الخريف ستعود من جديد يا بنفسج))

.

واقتبس "فرويد" هذا الأسلوب في بداية تكوين نظريته المتكاملة في التكوين النفسي للإنسان وفي علاج مرضاه وكـان لا يزال يؤمن بأن الحالات العصابية (أو الأمراض العصبية) ترجع إلى أحداث بعينها في حياة المرضى ولكنه

obeikandl.com

عاد فعدل عن فكرته وأرجع كثيراً من حالات "العصاب" إلى ما وصفه بأنه "صراع" بين الدوافع الغريزية والقيم التي رسختها الثقافة أو المجتمع. وعمل "فرويد" بعد ذلك على تطوير أسلوب "التداعي الحر" حيث كان أسلوب التطهير أحد جوانبه فحسب.

إن النظر العميق يهدي إلى أن مسألة التطهر تقتضي وجود مأساة أولاً وشيء يخافه الإنسان ويخشاه، ولعلنا نفطن جيداً أن المادة هي قبح الحياة بما تفعله في قلوب البشر من بغضاء وكذلك ما تولده من كراهية بينهم ولأجل ذلك أصبحت المادية الحديثة تشكل مأساة بل هي المأساة الحقيقية للإنسان في العصر الحديث خصوصاً بعد أن تخلى الإنسان عن قيمه النبيلة وقتل كل ما يمت إلى الجمال بداخله فأصبح في أمس الحاجة إلى من يوقظ بداخله ميلاد افتتانه بالجمال وكذلك ميلاد مرضه بالمادة كما زعم "برويز" .

obeikandl.com

وكما أفترض مصطلح التطهر أو التطهير لدى أرسطو ومن قبله أفلاطون وجود مأساة فإن مجموعة " أساور البنفسج " التي سعت الشاعرة من خلال ما جاء فيه من نصوص عن الورود والجمال تقوم بفعل التطهير للإنسان من مأساة المادية والبغضاء لأن الشعر يقوم بفعل التداعي الحر لدى المتلقي وهو ذاته ما انتهجه فرويد في علاجه لمرضاه.

وكما رأى "كارل يونج" أن الفنان لا يعدو كونه أداة يستخدمها اللاوعي الجمعي، الذي يتحكم في مختلف سلوكيات الإنسان وممارساته، ومن ضمنها الممارسة الفنية.

وكما رأى "كارل يونج" أن الفنان لا يعدو كونه أداة يستخدمها اللاوعي الجمعي، الذي يتحكم في مختلف سلوكيات الإنسان وممارساته، ومن ضمنها الممارسة الفنية.

والامتياز الوحيد الذي يتفاضل به الفنان عن غيره من آحاد الناس هو قدرته على الإنصات لهذا اللاشعور والتعبير عنه، تقول سميرة في قصيدة (صهيل الريح – ص 118) :

obeikandl.com

لك هذا الجبل / ولي بنفسجياتي، / لك هذا المطر/ ولي أمنياتي،/ إما أن نبتل معا فننتشي / وإما أن نختفي من هذا الوجود / بين أفنان ليلة ماطرة،))

. وبذلك يصبح الفنان والشاعر لسان حال مجتمعه وعصره الذي يصغي فتبوح له الأرض بأنين روحها، وذلك اللاوعي الجمعي هو الذي يتحدث في ديوان " أساور البنفسج " فيكون بذلك المجتمع في أمس الحاجة إلى تذكر ماقتلته المادة في نفوس الناس من جمال وافتتان ودهشة بالطبيعة.

ذلك القبح للمادة في النفس البشرية ينطبق عليه قول الشاعر :

" هو هذه الكف التي تغتالنا / ونقبل الكف التي تغتالُ "

إنها المازوشية التي تجعل الإنسان يتلذذ بتعذيبه لذاته، فهو يشاهد الخوف ويستلذ بمشاهدته ولاسبيل إلى تطهيره من كل ذلك القبح سوى بإعادته إلى مواسم البراءة والجمال في الحياة كما يتحدث اللاوعي الجمعي في ديوان "أساور البنفسج " على لسان الشاعرة وفي (قصيدة : الشارقةُ زهرةُ الدنيا- ص 24) تقول الشاعرة :

ياشارقة الحلم البنفسجي / يامن ترجين في القلب مراكب الحب المسافرة

منذ خلق عطر بنفسجي ب حي "ميسلون ")).

وتماماً مثلما تحن الشاعرة في أساور البنفسج إلى ميلاد العطر الأول والوردة الأولى في حياتها يحن المجتمع الذي مازالت بكارة الحياة تحرضه على المادية والتكنولوجيا إلى التطهر بالورد والشعر والغناء من درن المأساة.

الشاعرة في أساور البنفسج إلى ميلاد العطر الأول والوردة الأولى في حياتها يحن المجتمع الذي مازالت بكارة الحياة تحرضه على المادية والتكنولوجيا إلى التطهر بالورد والشعر والغناء من درن المأساة.

نجد كذلك من الأمثلة والشواهد أكثر من أربع قصائد للورود والبنفسج كـ " أساور البنفسج " و" لوعة البنفسج " و " سحر البنفسج " وغيرها.

obeikandl.com

- **ثلاثة نماذج**

وكنماذج يمكن أن نأخذها من ديوان أساور البنفسج للشاعرة "سميرة عبيد" نختار ثلاثة نصوص أولها **نص قصيدة " ضياء العتمة ":**

بالبديهة سيكون العنوان هو العتبة الأولى للولوج إلى النص، وعنوان قصيدة " ضياء العتمة " من الديوان الأول " أساور البنفسج " للشاعرة سميرة عبيد يرد في تقنيته ضمن أنماط العناوين التي ميزها ريفاتير من أنماط الاشتقاق المزدوج وتقنيتها في كتاب " قراءة في قصيدة النثر " لسوزان برناد ونلاحظ التنافر الدلالي في العنوان الذي يشبه نص " سطوع القمر " لكلوديل والذي عالج موضوعاً هو القمر مع أخبار خاصة بالشمس مثلما يعالج عنوان الشاعرة سميرة موضوعا هو العتمة مع أخبار خاصة بالضوء وهنا نجد اشتقاقين متنافران دلالياً..

- في مطلع القصيدة تعدد الشاعرة سبعة فضائل ورذائل ونلاحظ هيمنة الرقم سبعة واستخدام الشاعرة له كأحد الأرقام المنطوية على أسرار محمودة خصوصا في

الثقافة العربية والتراث العربي، تقول : السعادة / الفراق! / اليأس ! / الهجر ! / الآمل ! / الصدق! / النفاق! /

كل مفاهيمك / يا بردى / امتزجت بألوان مستعارة / نقول ما لا نفعل! / ونفعل ما لا نقول ! / هل الخطأ مكمن القصيدة! ؟ (أساور البنفسج ص).

لقد ارتبط اسم نهر بردى بمدينة دمشق، وكان للنهر كبير الأثر في حضارة المدينة عبر العصور وتغنى به العديد من الشعراء قديما وذكر في الكثير من المراجع التاريخية

إن نقطة القوة في هذا المقطع من القصيدة تكمن في قول الشاعرة " يا بردى " وهي تتعمد النداء للمواساة ولعل الجدير بنا أن نقف قليلا على كلمة بردى.

لقد ارتبط اسم نهر بردى بمدينة دمشق، وكان للنهر كبير الأثر في حضارة المدينة عبر العصور وتغنى به العديد من الشعراء قديما وذكر في الكثير من المراجع التاريخية لأهميته ويقول المؤرخ (ابن عساكر) ان نهر بردى كان يعرف قديما باسم نهر باراديوس اي بمعنى نهر الفردوس،

obeikandl.com

واطلق عليه الإغريق اسم نهر الذهب وقد ذكر نهر بردى في الكتاب المقدس (التوراة) وفي مراجع تاريخية كثيرة ويوجد لوحات فسيفساء تاريخية تبين نهر بردى مارا بين منازل دمشق للنهر اهمية تاريخية كبيرة وقامت على ضفافه أحداث هامه منذ فجر التاريخ.

إنها إشارة لتاريخية هذا النهر وما حصل عنده عبر التاريخ من قصص محبين وحالمين وأشقياء وسعداء وقلما نسي شاعر في العصر الحديث أن يكتب عن هذا النهر كان أشهرها قصيدة أمير الشعراء أحمد شوقي الراثية لحال دمشق أثناء استعمار القوات الفرنسية لها.

وكذلك نجد إشارة أخرى وتناص مع قوله تعالى عن الشعراء :" وأنهم يقولون ما لا يفعلون " وتعود الشاعرة في نهاية المقطع لتسأل بردى عن مكمن الخطأ ليظل سؤالاً مفتوحاً وحمال أوجه.

أما في المقطع الثاني من القصيدة فتتحدث الشاعرة عن الماضي الذي يعلق عليه كثيرٌ من الناس أسباب ما يحدث لهم في الحياة وما يقترفونه من أخطاء وتقول : (نعلق

أخطاءنا/ على شماعة/ وقت يمضي/ يصبح أمسا / و سراب أحجيات/ شيء من ماض / هلامي / مقياس لعثراتنا) (أساور البنفسج ص)

وفي المقطع الثالث نجد إشارة إلى مالك ذلك الطائر الحزين في حكايات كليلة ودمنة لابن المقفع وإلى تجمله بالأمل رغم الحزن الذي يلازمه ويحيق به وهو ما يجعل منه جميلا وهنا أيضا ارتباط وثيق بين دلالة الضياء في عنوان القصيدة دلالة وبين الأمل وبين دلالة العتمة والطائر الحزين ليتضح المعنى كاملاً، تقول الشاعرة: (الآمل أجمل العناوين / في حضن طائر حزين / وأقوى البراويز / فما الذي تجده / بيارق في حياتك؟) (أساور البنفسج – ضياء العتمة).

وفي المقطع الثالث نجد إشارة إلى مالك ذلك الطائر الحزين في حكايات كليلة ودمنة لابن المقفع وإلى تجمله بالأمل رغم الحزن الذي يلازمه ويحيق به وهو ما يجعل منه جميلا

- كثيراً ما يكون السؤال أو الدعوة إليه بغرض الطلب وليس البحث عن إجابة وهنا تطلب الشاعرة تلوين الحياة بتلك الألوان التي تظهر ساعة الغروب وتطلب أيضاً البحث عن أسرارها والألوان أسرار ومعانٍ

obeikandl.com

وروابط وكلما اتسعت ثقافة الإنسان عنها كلما سهل تأثيرها واتسع عليه في نفسه وفي واقعه..

نعم لتلك الألوان التي تظهر ساعة الغروب أسرار كثيرة لايعرفها كثير من الناس وللعارفين فهي كفيلة بتلوين الحياة الداكنة حين نفقهها وهنا أجد شيئا من التصوف لدى الشاعرة..

وليتكشف المعنى أكثر تقول طائفة من الصوفية تدعى " النقشبندية " أن للإنسان عدة أنفس ولكل نفس هالة أو ضوء خاص بها فترى أن اللون الأخضر لون النفس الراضية

وليتكشف المعنى أكثر تقول طائفة من الصوفية تدعى " النقشبندية " أن للإنسان عدة أنفس ولكل نفس هالة أو ضوء خاص بها فترى أن اللون الأخضر لون النفس الراضية واللون الأسود لون النفس المرضية (أرضاها الله) واللون الأحمر لون النفس الملهمة واللون الأبيض لون النفس المطمئنة واللون الأصفر لون النفس اللوامة واللون الأزرق لون النفس الأمارة بالسوء..

وبخصوص الحياة الداكنة التي تشير إليها الشاعرة سميرة عبيد في القصيدة تتداعى شبيهات كثيرة وهامة فالأشياء

obeikandl.com

بالأشياء تذكر، فجسر " بلاك فرايار " في لندن الشهير بجسر " الانتحار " كان لونه بني داكن وعندما أجريت عليه نظرية الألوان وتحديداً اللون الأخضر وتم طلاؤه به انخفضت حوادث الانتحار إلى الثلث..

إنها دعوة إلى الهروب من المنغصات المسودة لحياة الإنسان والمكدرات والروتينيات إلى عوالم الحب والسعادة والتي ترمز إليها الشاعرة بألوان الغروب..

تقول سميرة : (ما تساءلت / كثيرا.. / ما سر / الآلوان التي تعكس / رحيل / الشمس / إلى مكان آخر؟ / أما تمنيت يوما / أن تكونها / لنمحو الصور الداكنة،) (أساور البنفسج – ضياء العتمة).

في المقطع التالي في القصيدة تقول سميرة :

(كي تعشقك نرجسة / وتعطيك ماء المرآة، / أترك الحروف الحزينة تتراقص/ على لهيب/ من نار الطهر،/ جميلة هذه الزهرة/ حين تعانق جسد ضمير/ ضمير يفكر/ ضمير يعطي/ دون مقابل!. / كان..... سيكون..... كن/ "كن جميلا

obeikandi.com

ترى الوجود جميلا" / قالها ومضى /.....). (أساور البنفسج – ضياء العتمة).

يقول الروائي العالمي "باولو كويلهو" في مقدمة روايته الشهيرة "الخيميائي " : (تناول الخيميائي بيده كتابًا، كان قد أحضره أحد أفراد القافلة، لم يكن للكتاب غلاف، ولكنه استطاع على الرغم من ذلك التعرف على اسم الكاتب " أوسكار وايلد " وهو يقلب صفحاته، وقع نظره على قصة كانت تتحدث عن " نرجس " ... لاشك أن الخيميائي يعرف أسطورة " نرجس " هذا الشاب الوسيم الذي يذهب كل يوم ليتأمل بهاءه المتميز على صفحة ماء البحيرة.

على الرغم من ذلك التعرف على اسم الكاتب " أوسكار وايلد " وهو يقلب صفحاته، وقع نظره على قصة كانت تتحدث عن " نرجس " ... لاشك أن الخيميائي يعرف أسطورة "

كان متباهيًا للغاية بصورته، لدرجة أنه سقط ذات يوم في البحيرة، وغرق فيها، في المكان الذي سقط فيه، نبتت وردة سميت باسمه: "وردة النرجس".

obeikandl.com

لكن الكاتب " أوسكار " لم ينه روايته بهذا الشكل، بل قال إنه عند موت نرجس، جاءت الإريادات (آلهة الغابة) إلى ضفة البحيرة العذبة المياه، فوجدها قد تحولت إلى زير من الدموع المرة، فسألتها:

- لماذا تبكين؟

- أبكي نرجسًا. اجابت البحيرة.

فعلقت الإريادات قائلة:

- ليس في هذا ما يدهشنا، وعلى الرغم من أننا كنا دومًا في إثره في الغابة، فقد كنت الوحيدة التي تمكنت من تأمل حسنه عن كثب.

- كان نرجس جميلًا إذًا ؟

مكثت البحيرة صامتةً للحظات ثم قالت:

- أنا أبكي نرجسًا لكنني لم ألحظ من قط أنه كان جميلًا، إنما أبكيه لأنه في كل مرة انحنى فيها على ضفافي كنت أتمكن من أن أرى في عينيه انعكاسًا لحسني.

obeikandi.com

القصة جميلة جدًا. قال الخيميائي.).

إنه العطاء مرض القلوب العظيمة من ترى الجمال أو من تخلع الجمال على كل شيء تراه ليصبح جميلاً على حد تعبير كانط أو كما يقول الفيلسوف العبد "إيبكتيتوس" :" ليست الأشياء في ذاتها خيراً أو شراً وإنما يخيف الإنسان منها هو تصوراته عنها ".

أنا أبكي نرجسًا لكنني لم ألحظ من قط أنه كان جميلًا، إنما أبكيه لأنه في كل مرة انحنى فيها على ضفافي كنت أتمكن من أن أرى في عينيه انعكاسًا لحسني.

- أما النموذج الثاني من ديوان أساور البنفسج الذي نتناوله بالقراءة والتحليل فهو نص قصيدة " سحر البنفسج " :

يقول النص :

((ياآآآآ... بنفسج

خذيني لرحيقك

صوب ما يبهج،

دعيني في ضحكة روحك

أستطيب وأسرج،

يآآآآ... بنفسج

امنحيني لون قلبك

أزدهي بضيائه

يا بنفسج،

يا وجع الروح

سنيني وإن طالت حكاياتها

ومالت على درج الجروح

بك تشهد،

مدن ضلوعي بأمانيك

تتباهى شجنا وتسجد

أخبريني يا بنفسج

يا ملاك الفتنة الجذلى

أي سحر

obeikandl.com

في أعاليك ترتل !

أي نجم لاح

في مرأى روابيك

ضم جزر الكحل الحائر فيها وتمجد !

كم فجر سافر من غياهبه

وفي جفنيك توسد !

يطوف بنحرك نهار ظامئ لنورك

قوافلي شدت إليك رحالها

قبلت غرورك الأوحد،

تتمايل خطواتك كمعزوفة أندلسية

على دروب الشغف تتمرد

أنثى أنا

يحفها زهو الزمرد

والزبرجد،

أنت بحر هائج

obeikandl.com

يثور فيه حاضري

اا آي من الوعد المؤكد،

تصرخ في جنباتك

أوتار الآمل المقيد

تقول في صمت

ليتني

كنت

الأمان المؤبد

ياآآآآآآبنفسج،

أناجيك

يهمس طيف قريب

قائلا : طيوف عطرك

تحملني حيث

زهو الدروب،

تملؤني عناقيد

obeikandl.com

من الفرح الحبيب،

وحدائق التوت التي نزل عليها

مطر حبك الأوحد

فكيف تسلقت باب قلبي

كيف أشعلت حنيني؟

كيف أسرجت

الحلم في مثوى جفوني؟

وأرحت الروح

من زيف الشجون؟

كيف جئت

رقصة في حرف دفاتري؟

وكتابي وطريقي

رسالات اشتياقي

كيف ظهرت في عتمة الروح

ومضة وله من بريقي؟

obeikandl.com

ها أنا يآآآآ بنفسج

تذبحني الأسئلة

أقف على معبد الجرح

تهدهدني أسئلة الغياب

أرتلها بصمت موحش،

يا ترى هل ستكون

ملكي أنا ؟

ملكي أنا

أخبريني

يآآآبنفسج " انتهى.

إذا كان الشعر خاصة، والفن عامة وسيلة للتعبير الموحي، فمعنى هذا، أنه بذلك الإيحاء يعوض عن الواقع المفتقد، لبعده، أو لرفضه، أو نقصانه، فرسم عالماً آخر أفضل، به ينتقل الإنسان الشاعر إلى وطن جديد يسكنه، وقد صنعه بذاته.

obeikandl.com

كانت القصيدة عند عرب الجاهلية تفتتح بذكر المرأة، فالمكان المأنوس أو المهجور، أصبح ذلك تقليدا جرى عليه شعراء العربية حتى العصر الحديث، إلا من أخذ من المعاصرين

كانت القصيدة عند عرب الجاهلية تفتتح بذكر المرأة، فالمكان المأنوس أو المهجور، أصبح ذلك تقليدا جرى عليه شعراء العربية حتى العصر الحديث،

والحداثيين بأسباب الحضارة الراهنة فمنهم من يبدأ بمناداة وردة ومناجاتها كما فعلت الشاعرة في قصيدتها.

مناجاة البنفسجة شيء لم يدر في البال، أو يجر في الواقع أن أحداً يستغيث بوردة ولا يقدم على مخاطبة وردة إلا المجانين، وهل العبقرية إلا نوع من الجنون ولكنه إلهي كما يقول أفلاطون ؟

وجدت سميرة أن تمثيل اللاجدوى لا يتحقق إلا باللجوء إلى الكلام الذي هو صفة بشرية وعقل بشري، وإلى الطبيعة التي منها البنفسجة، وكلاهما حصيلة واقع حسي ملموس،

obeikandl.com

أو مدرك، لكنهما مجتمعان لا يمكن أن يحصلا إلا في الذهن أو الخيال.

الفن غايته الجمال. الجمال غايته ذاته في دورانه حول نظامه، لكن له دورة نوعية في المطلق. والإنسان هو الذي يكتشفه، وبما أن الجمال جمع، وانسجام، فبمقدار مايلمّ الشاعر، ملاّح الوجود، وجوّاب آفاقه، مختلف العناصر، والمتفارقات، ليوحد بينها، بمقدار ما يكون فناناً، جمالياً، وموحداً للكون.

تنساق الشاعرة بعفوية في الظاهر مع بعض وجوه الطبيعة، والهادف الداخلي كان رؤية في الوجود، تضع بعض مقاييس التحول. حيث كل شيء يمكن أن يتحول إلى أي شيء.

لعبت الشاعرة بأشياء كثيرة من هذا الوجود، لا تربطها في الظواهر رابطة، عبّرت بها عن الحالة، منساقةً بدواعي من العقل الباطن.

ثمة مرحلتان الأولى كانت سميرة فيها هادفة، مهندسة رياضية في المرحلة الثانية غير بعيدة عن مثل ما فعله " مالارميه " ساعة استعان بالحروف والأرقام، بأوضاعها، بالتقديم والتأخير لدن تنظيمها في السطر، حتى التنقيط، فهو معبر لديه، وشيء آخر لم يقله مالارميه ولا يقوله الشعراء النابهون، لأنه للقارئ، لخياله المستوحي، والمبدع، منتقلا من القيم الداخلية، إلى القيم الموسيقية، عائداً إلى القيم الداخلية، ثم مستفيضاً بصوفية تغمر الأكوان.

مهندسة رياضية في المرحلة الثانية غير بعيدة عن مثل ما فعله " مالارميه " ساعة استعان بالحروف والأرقام

الإيقاع مضمخ بعطر الموسيقى، الصور ترفع الحالة إلى درجة الوله، الألفاظ مقصوبة من مقلع الشمس، رخامي، ملون. الحبكة عليها أثر أنامل فنان أصيل، متمرس بنسج الطيالسة.

obeikandl.com

في القصيدة تخطٍ للحسيات إلى أفق الرؤيويات ومنها مخاطبة الأشياء بلغة القلب وكما تتصور في الذات، خلعت الشاعرة فيها ثوب ذاتها على الموجودات، خالقة بنفسها عالماً آخر للبصيرة سوى عالم المشاهدة وهذا درب من دروب الرومنطيقية.

شاعر الرومنطيقية يلغي عينيه ليرى ببصر من داخل نفسه، فالمسافات التي تتحدث عنها الشاعرة بعيدة جدا رحبة المدى، لا تستلين لمدى البصر، لكن الشاعرة لها عين أخرى داخلية، هي عين المحب الوله وعين المشتاق التي تخضع لها مسافات ما بين الأماكن والكواكب والمغيبات.

obeikandl.com

لقد أرادت الشاعرة أن تمتدح البنفسج لكنها لم تقل ماجاء على لسان الرومانطيقيين ومن هم على شاكلتهم بل أخذت تفصل في الممدوح وتفصل في المشبه به برسم ظروفه المختلفة بطريقة تامة، ثم يأتي المشبه ويفضله على المشبه به بطريقة مدهشة للغاية فالبنفسج مشبه ومشبه به مثلما هنا : " أخبريني يا بنفسج / يا ملاك الفتنة الجذلى / أي سحر / في أعاليك ترتل ! / أي نجم لاح / في مرأى روابيك / ضم جزر الكحل الحائر فيها وتمجد ! / كم فجر سافر من غياهبه / وفي جفنيك توسد ! ".

لقد أرادت الشاعرة أن تمتدح البنفسج لكنها لم تقل ماجاء على لسان الرومانطيقيين ومن هم على شاكلتهم بل أخذت تفصل في الممدوح وتفصل في المشبه به برسم ظروفه المختلفة بطريقة تامة

لقد اجتمعت في القصيدة أغراض شعرية متعددة منها المديح والغزل والفخر، ولأن البنفسج كان رمزاً في القصيدة فكل تلك الأغراض قد تحرك المرمز له بالبنفسج، وقد قيل أن شعر المديح والهجاء لدى العرب كان محل

obeikandl.com

التراجيديا والكوميديا في الشعر اليوناني، ليس عن مقابلة، بل عن ضرورة إزدواجية، شبه حتمية تنبع عن مواقف ذلك الشعب الاجتماعية، ونوازعه الأخلاقية.

والعربي مغالٍ في حبه للمديح، يهتز للكلم الجميل ويروقه، والخاطرة المتوهجة، والصورة الخضراء، فلا بدع إذا أنفق ماله، وضحى بوجوده، وأقام حرباً، وأبرم سلماً، في سبيل الاستجابة، لقافية مداحة من شاعر، أو لغزل شاعرة.

- **والنموذج الثالث قصيدة " المرآة " :**

يقول النص :

لا شارع يمضي بك

لا قوانين تسري عليك

تعبر إشارات الروح الحمراء

في مثل هذه الساعة

في مثل هذا الزمان

obeikandl.com

كل الآشياء

واقفة لا تتحرك

وحدها المرآة

توقظ أحلامي فتنتشي

وحدها تنتشلني

من وزر الخوف

ومن أديم الليل

تهمس في صمت

تنبت عشب الآمنيات

تتنفس على صفح ة الماء

ما بين اللحظة واللحظة

تتجلى عيون الشوق

إليها

كلما يممت

بركاني....

obeikandi.com

وما بين قطار راحل وقطار قادم

تنبأت الساعة بخمس دقائق

قبيل السفر

أيقظت فيها الفراشات النائمة

لمواعيد القهر القادمة

خمس دقائق !!!!

هل سأدون

فيها قصة حياتي !

آه من زمن

تمهقت فيه ساعة الندم

وألجمت حظي

حين تلاشى القلب

يبابا

على شهقة الوداع

حينها

obeikandl.com

أدركت أن المرآة

أضاعت صهيل اللقاء

وأن عقارب الساعة تلاشت

فصارت خرساء

خرساء

خرساء) إنتهى.

المرآة والساعة محوران رئيسيان في نص " المرآة " من ديوان "أساور البنفسج " للشاعرة سميرة عبيد، وتدور في فلكهما القصيدة وتسخدمهما الشاعرة كمعادلان موضوعيان لما تود البوح به فالمرآة دلالة مفتوحة وحالة ينقسم فيها الوعي على ذاته إلى نصفين والمرآة كذلك هي أصدق تعبير عن موطن الثقة التي يمكن أن نرى فيه أنفسنا بشفافية الماء ودلالة المرآة تتسع كذلك لتشمل الأقرب فالأقرب والأصدق فالأصدق والأحب فالأحب، وإذا كان الأشخاص ونحن نتغير مع تغيرات الزمن إلا المرآة لاتتغير والمرآة هي الشيء الوحيد الذي يسمح له كما تصف الشاعرة بالمرور عبر طرقات الروح التي تتقاطع فيها

obeikandl.com

إشارات حمراء وخطرة وهذا تعبير جميل لوصف حالة من الصدق والحب في زمن صعب لايجيد سوى الكذب والكراهية..

إن المرآة تعبير جميل ودلالته واسعة ويمكن في تفسيرها في هذا النص بذكر مقطع من آخر قصيدة لمحمود درويش " لاعب النرد " حيث يقول :

" أدرب قلبي على الحب

ليتسع الورد والشوك

وأنا من أنا الآن إلا

إذا ألتقت الاثنتان

أنا وأنا الأنثوية "...

وهذا يشبه حالة الانقسام الذي تذهب إليه الشاعرة في المرآة حيث يتجسد وصف النصف الآخر تماما مثلما ينقسم الوعي على ذاته إلى نصفين أمام المرآة، وهذا النصف المخول له بالعبور إنما هو نصف يسكننا.. ودرويش شأنه شأن الكثيرين في جميع الأنواع الأدبية والإبداعية،

obeikandl.com

كشخصية فاطمة في رسومات "ناجي العلي"، والشخصيات الذكورية في روايات الكاتبات، وهم جميعا يؤكدون نظرية القطبية لعالم النفس كارل يونج " التعلل والانتقال" بمعنى أن الإنسان ثنائي الجنسية، فداخل كل رجل يوجد حس أنثوي يسمى "

ونحن نتغير مع تغيرات الزمن إلا المرآة لاتتغير والمرآة هي الشيء الوحيد الذي يسمح له كما تصف الشاعرة بالمرور عبر طرقات الروح التي تتقاطع فيها إشارات حمراء

الأنيموس" وداخل كل أنثى حس ذكوري يسمى " الأنيما" وهما ما يحقق التوازن لدى الإنسان باشباعهما، وهو أيضا الميل الغريزي للرجل تجاه المرأة، والميل الغريزي للمرأة نحو الرجل، لتحقيق هذا التوازن، أي أن التعدد في الكيان البشري من خلال هذا يؤكد فكرة التعددية "الناموس الذي خلق على أساسه هذا الكون" أي أن الصراع بين الرجل والمرأة هو صراع عقيم لايولد إلا المزيد من الانقسامات والنكوص والتردي في المجتمعات..

وأما الساعة فدلالتها للزمن وتستخدمها الشاعرة لوصف حالة جدب الحياة وانعدام الفرح والسعادة فيها وإذا كان المكان عجينة فإن العجينة هذه لاتكون إلا بيد أحد إلا الزمن وهذا الأخير مناخٌ يفنى فيه كل شيء ويولد فيه كل شيء..

حين يتوقف الزمن عن خلق السعادة فلا جدوى من البحث عنها سوى أن الإنسان يلجأ إلى كما تصف الشاعرة إلى نصف وعيه الآخر " المرآة" كمحاولة لإنجاب ما عجز الزمن عن إنجابه فتوقظ كل جميل وتبدد كل خوف وتمحو كل المكاره، وحين تسعفنا الساعات / الزمن بخمس دقائق قبيل موعد الرحلة فماذا عسى أن نفعل فيها ولعلها ستكون أضعف وأقل من أن ندون كل هزائمنا، إن الشاعرة تؤكد أننا أكثر إبداعاً من ذلك..

حين يتوقف الزمن عن خلق السعادة فلا جدوى من البحث عنها سوى أن الإنسان يلجأ إلى كما تصف الشاعرة إلى نصف وعيه الآخر " المرآة" كمحاولة لإنجاب ما عجز الزمن عن إنجابه

الزمن الذي تصفه الشاعرة لم يستيقظ فيه ولم يمنحنا سوى ذاكرة للألم كل ما فيها للندم فقط وفي اللحظة التي يمنحنا

obeikandl.com

الزمن فرصة لمحاولة شيء وهي فرصة قليلة نجد أن المرآة قد خانت لحظة جميلة هي لحظة اللقاء لتبدو لحظة محالة كما أن الزمن صار أخرس ولا جدوى من انتظاره..

وأخيرا يؤكد لنا النص معانٍ سامية وإنسانية وفكرة أن الرغبة الدائمة المُلحة على الإنسان هي رغبة الوجود، وكل مغامرات الإنسان الطويلة ليست في أقصى غاياتها إلا طريقاً لتحقيق وجوده وإثبات ذاته ومن ثمَّ لإدراك معنى هذا الوجود وقد أخذت هذه المغامرات أشكالاً مختلفة فهي تتمثل مرّة في البحث عما نسميه الحقيقة وأُخرى في البحث عن الله وثالثة في محاولة تفهم ما النفس، وإذا نحن ترجمنا هذه المحاولات في إطار أعم أمكننا أن نتمثلها في علاقة الإنسان بالكون، وعلاقته بالله وعلاقته بالإنسان نفسه، ويتفرع عن هذه العلاقات كل المواقف الثانوية من النظر في الحياة والموت، في الحب والكره، في الخلود والفناء، في الشجاعة والخوف، في الخصب واللامحال، في النجاح والفشل، في العدل والظلم، في الفرح والحزن، وكل هذه المعاني مستقرة في الضمير الإنساني وقد استقرت فيه منذ وقت مبكر، منذ أن تبلورت التجربة الإنسانية في العقيدة

الدينية، لقد استقرت في ذاكرة الإنسان التي تكونت عبر العصور، وانطبعت آثارها ــمن ثمَّ- في عاداته المجتمعية..

رجوع للفهرس

obeikandl.com

الأفكار الأخيرة

في النهاية أي نص يتحدث من خلال قارئه وإمكانية النقاد في تفسير وتحليل النصوص هي بركة وعبء في نفس الوقت. إنها بركة لأنها تمنحنا السهولة لتكييف النصوص مع الظروف المتغيرة. وهي عبء لأنه يجب على قارئ النص أن يتحمل مسؤولية القيم المعيارية التي يأتي بها النص. كل النصوص تعطي احتمالات في المعاني، وليس محتويات. ويتم استخدام هذه الاحتمالات، وتطويرها، وفي النهاية تحديدها من قبل جهود القارئ، لفهم تعقيدات النص. وهكذا فإن معنى النص عادةً ما يكون أخلاقياً فقط كقارئه. فإذا كان القارئ متعصباً ومفعم بالكراهية أو حتى ظالماً فهكذا سيكون تفسير النص وبالمثل سيكون عكس هذا الكلام صحيحاً.

رجوع للفهرس

obeikandl.com

obeikandl.com

أي نص يتحدث من خلال قارئه

وإمكانية النقاد في تفسير وتحليل

النصوص هي بركة وعبء في نفس

الوقت. إنها بركة لأنها تمنحنا السهولة

لتكييف النصوص مع الظروف المتغيرة.

وهي عبء لأنه يجب على قارئ النص

أن يتحمل مسؤولية القيم المعيارية التي

يأتي بها النص